

﴿فَعْلَبُوا هَٰذَاكَ وَأَقْلَبُوا صَٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: 119]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

ترتَّبَ على وقوعِ الحقِّ تمييزُ الغالبِ مِنَ المغلوبِ بأنَّ أصَابَتْ الهزيمةُ المُنكَرَةَ فِرْعَوْنَ، ومَلَأَتْ، وسَحَرَتْهُ فِي ذَلِكَ المَجْمَعِ العَظِيمِ، الَّذِي حَشَرَ النَّاسَ لَهُ فِي يَوْمِ عِيدِهِمْ وَزِينَتِهِمْ⁽¹⁾.

ظهورُ الحقِّ،
بَعْدَ أَنْ غَلَبَ أَهْلُ
الباطِلِ، وَأَقْلَبُوا
صَاغِرِينَ

✽ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿فَعْلَبُوا﴾: الغَيْنُ واللَّامُ والباءُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على قوَّةٍ، وقَهْرٍ، وشِدَّةٍ⁽²⁾. وَغَلَبَ عَلَى فُلَانٍ الكَرَمُ؛ أَي: هُوَ أَكْثَرُ خِصَالِهِ⁽³⁾. ومعناه المحوريُّ: شِدَّةٌ مَعَ عُلُوٍّ مَا، وَعِظَمٌ جَرَمٍ، وَسَائِرُ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ التَّرْكِيبِ هُوَ مِنَ الْغَلَبِ؛ أَي: الْقَهْرِ⁽⁴⁾. وَهُوَ مَعْنَى اللَّفْظَةِ الْمُفْسَّرَةِ.

(2) ﴿وَأَقْلَبُوا﴾: الْقَافُ وَاللَّامُ والباءُ أصلان صَحِيحَانِ: يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى رَدِّ شَيْءٍ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ⁽⁵⁾. وَمِنْهُ الْقَلْبُ: تَحْوِيلُكَ الشَّيْءَ، وَصَرْفُهُ عَنْ وَجْهِهِ إِلَى وَجْهِ، كَقَلْبِ الثَّوْبِ، وَقَلْبِ الْإِنْسَانِ؛ أَي: صَرْفَهُ عَنْ طَرِيقَتِهِ. وَالْمُنْقَلَبُ: مُصِيرُكَ إِلَى الْآخِرَةِ⁽⁶⁾. فَمَعْنَى اللَّفْظَةِ تَغْيِيرُ الْحَالِ وَتَبَدُّلُهُ، وَالْأَكْثَرُ أَنْ يَكُونَ تَغْيِيرًا مِنَ الْحَالِ الْمُعْتَادَةِ إِلَى حَالٍ غَرِيبَةٍ. وَيُطْلَقُ الْإِنْقِلَابُ شَائِعًا عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يُخْرَجُ مِنْهُ، وَلَٰنَّ الرَّاجِعَ قَدْ عَكَسَ حَالَهُ خُرُوجِهِ. وَانْقَلَبَ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَجِيءُ بِمَعْنَى (صَارَ)، وَقَدْ فُسِّرَتْ بِهَا اللَّفْظَةُ؛ أَي:

(1) طنطاوي، الوسيط: 5/350.

(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والزَّاعِب، المفردات: (غلب).

(3) ابن الأثير، التَّهْيَاة: (غلب).

(4) جبل، المعجم الاشتقاقِيّ لِلْمُؤَصِّل: (غلب).

(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قلب).

(6) الخليل، العين، والزَّاعِب، المفردات: (قلب).

صاروا صاغرين⁽¹⁾. ولا يَمْنَعُ ذَلِكَ مِنْ تَحَقُّقِ مَعْنَى التَّغْيِيرِ، وَالرَّجُوعِ، وَالتَّحْوِيلِ فِي لَفْظِ الْإِنْقِلَابِ.

(3) ﴿صَغِيرِينَ﴾: الصَّادُ وَالغَيْنُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يُدُلُّ عَلَى قِلَّةٍ وَحَقَارَةٍ. مِنْ ذَلِكَ الصَّغَرُ: ضِدُّ الْكِبَرِ. وَالصَّغِيرُ: خِلَافُ الْكَبِيرِ. وَالصَّاعِرُ: الرَّاضِي بِالضَّيْمِ⁽²⁾. وَتَصَاغَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، وَصَغُرَتْ فِي عَيُونِ النَّاسِ: صَارَتْ صَغِيرَةً الْقَدْرِ وَالشَّانِ ذُلًّا وَمَهَانَةً⁽³⁾. وَالصَّاعِرُ: الصَّغِيرُ قَدْرُهُ، الرَّاضِي بِالضَّيْمِ، وَالذَّلُّ، وَالْمَنْزِلَةُ الدَّنِيَّةُ⁽⁴⁾. وَمَعْنَى اللَّفْظَةِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الذَّلُّ، وَالْمَهَانَةُ، وَتِلْكَ الْمَذَلَّةُ هِيَ مَذَلَّةٌ ظُهُورِ عَجْزِهِمْ، وَمَذَلَّةٌ خَيْبَةِ رَجَائِهِمْ مَا أَمْلَوْهُ مِنَ الْأَجْرِ وَالْقُرْبِ عِنْدَ فِرْعَوْنَ⁽⁵⁾.

❖ المعنى الإجمالي:

صَغَارُ الْغُلَّوِيِّينَ،
وَذُلُّهُمْ بَعْدَ
خِيْبَتِهِمْ

لَمْ يُغْلَبِ السَّحَرَةُ فَقَطْ، بَلْ غُلِبَ مُعْسَكَرُ الظَّالِمِينَ جَمِيعِهِمْ فِي مَكَانٍ اجْتَمَاعِهِمْ أَوْ فِي زَمَانِ اجْتِمَاعِهِمْ، وَعَادُوا أَذَلَّةً بِمَا رَزَنُوا بِهِ مِنَ الْخِذْلَانِ، وَالْخَيْبَةِ⁽⁶⁾ وَعَاشَ كُلُّ مَنْ هُوَ ضِدُّ مُوسَى فِي صَغَارٍ، صَغَارٍ لِلْمُسْتَدْعَى لِلْمُنَازَلَةِ، وَالتَّحْدِي، وَصَغَارٍ لِلْمُسْتَدْعَى إِلَيْهِمَا⁽⁷⁾؛ جَزَاءً عَلَى قَلْبِهِمْ لِتِلْكَ الْحَقَائِقِ عَنْ وَجْهِهَا، وَلَا ذُلًّا وَلَا صَغَارًا أَعْظَمُ فِي حَقِّ الْمُبْطِلِ مِنْ ظُهُورِ بُطْلَانِ قَوْلِهِ عَلَى وَجْهِ لَا يَكُونُ فِيهِ حِيلَةٌ⁽⁸⁾. وَتُرْشِدُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ إِلَى أَنَّ الذَّلَّةَ، وَالصَّغَارَ، وَالْعَارَ، وَالشَّنَارَ مَالٌ مُتَّبَعِي الْبَاطِلِ، وَمُنَاصِرِي الظَّالِمِينَ، وَأَنَّ الْعَاقِلَ مَنْ يَتَّعِظُ فَلَا يُغَرِّثُهُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/51.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صغر).

(3) الرَّمْخَشَرِيُّ، أساس البلاغة: (صغر).

(4) الخليل، العين، والزَّاعِبُ، المفردات، وجبل، العجم الاشتقاقِي المَوْضَل: (صغر).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/51.

(6) أبو حَيَّان، البحر المحيط: 4/364.

(7) الشَّعْرَاوِيُّ، تفسير الشَّعْرَاوِيِّ: 7/4300.

(8) البقاعي، نظم الدرر: 84 - 3/83.

في نصره الباطل مالٌ، أو جاءه، أو قُربٌ من سلطان؛ فإنَّ العاقبةَ
للمُتقين، الملازمينَ طريقَ الحقِّ، وإنَّ قلَّ سالِكوه، أو ضَعُفَتْ قواهم.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

بلغة الوصل في الآية الكريمة:

الفاءُ في ﴿فَعْلِبُوا﴾ كسابقاتها عاطفةٌ تفيدُ الترتيبَ، والتَّعقيبَ،
والسببيَّةَ، إذ عَطِفتْ هذه الآيةُ الكريمةُ على ما قبلها. وقد عَطِفتْ
عليها جملةٌ (فغلبوا) بالفاءِ لحصولِ الغلبةِ إثرَ تَلَقُّفِ العَصَا لِإِفْكِهِمْ
مُبَاشَرَةً⁽¹⁾. وضميرُ الرَّفْعِ فيه عائِدٌ على الجميعِ: من فرعونَ، وملئِه،
وقومِه، وسحرته⁽²⁾.

نكتة التعبير بصيغة المبني للمجهول ﴿فَعْلِبُوا﴾:

جاءَ به بِفِعْلِ الغَلْبَةِ على صيغةِ المبنيِّ للمَجْهُولِ، ولم يُصرِّحْ
بالغالبِ وهو نبيُّ اللهِ موسى ﷺ؛ لأنَّ ذلكَ لم يكنْ بكسبه، وصنعه
وحده، بل بتأييدٍ وتثبيتٍ ونصرٍ مِنَ اللهِ تعالى⁽³⁾.

سرُّ التعبير باسم الإشارة ﴿هُنَالِكَ﴾:

﴿هُنَالِكَ﴾ اسمُ إشارةٍ للمكانِ صيَّره اللَّامُ للبعدِ مُبالغةً في تفخيمِ
ما وَقَعَ فيه لَهُمْ مِنَ الهزيمةِ والخِذلانِ، والكافُ حرفُ خطابٍ وُبعدٍ؛
أي: غلبوا في المكانِ الذي وَقَعَ فيه سِحْرُهُمْ⁽⁴⁾، فهذا المكانُ الَّذي
تَوَاعَدُوا فيه لِلاِجْتِمَاعِ يَوْمَ العيدِ، حينَ يَتَزَيَّنُ النَّاسُ، وَيَجْتَمِعُونَ
مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَناحيةٍ وَقَتِ الضُّحَى هو الَّذي غلبوا فيه؛ فأفادَ بَدَاهَةَ
مَغْلُوبِيَّتِهِمْ وظُهُورَها لِكُلِّ حاضِرٍ⁽⁵⁾. ويُلَمَّحُ باستعمالِه الدلالةُ على
بُعْدِهِمْ عنه تعالى، ونأيِهِمْ عن رحمتهِ وتأييدهِ.

سَبَبٌ تَلَقُّفُ
العَصَا لِإِفْكِهِمْ
مُبَاشَرَةً، حُصُولُ
الغَلْبَةِ بِعَوْنِ
اللهِ وَتَأْيِيدِهِ

تَضْمِينُ الغَلْبَةِ
عَلَيْهِمْ كَوْنُهَا
بِتَأْيِيدٍ وَتَثْبِيتٍ
وَنَصْرٍ مِنَ اللهِ
تعالى

الإِلَاحُ بِمَا وَقَعَ
لِلسَّحَرَةِ
وَأَنْصَارِهِمْ،
مِنَ الهزيمةِ
وَالخِذلانِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/51.

(2) ابن عطية، الحزر الوجيز: 2/440.

(3) محمد رضا، تفسير المنار: 9/61.

(4) السمين الحلبي، الدَّر للصون: 5/418.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/51.

نُكْتَةُ إِثَارِ لَفْظِ ﴿وَأَنقَلَبُوا﴾:

اللفظ يبين
حالتهم المتغيرة،
وإناسبت الفعل
(فعلبوا)

اختيار لفظ ﴿وَأَنقَلَبُوا﴾ دون (رجعوا) أو (صاروا)؛ لمناسبته للفظ ﴿فَعَلَبُوا﴾ في الصيغة، ولما يُشعرُ به أصل اشتقاقه من الرجوع إلى حال أدون مما كانوا عليه من قبل، فكان لفظ ﴿وَأَنقَلَبُوا﴾ أدخل في الفصاحة⁽¹⁾.

مَرَجِعُ الضَّمِيرِ فِي ﴿وَأَنقَلَبُوا﴾:

الانقلاب
لِفِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُ
لِلسَّحَرَةِ

ضمير الرفع في ﴿وَأَنقَلَبُوا﴾ إن قدرنا انقلاب الجمع قبل إيمان السحرة، أو جعلنا (انقلبوا) بمعنى صاروا؛ فهم في الضمير، وإن قدرناه بعد إيمانهم فليسوا في الضمير ولا لحقهم الصغار، وحاشا لله أن يصفهم به بعد إيمانهم⁽²⁾، ورجحان عدم شمول السحرة يُناسِبُ ما بعده من لفظ الإذلال والمهانة ﴿صَغِيرِينَ﴾ الواقع حالاً.

عِلَّةُ التَّغْيِيرِ بِلَفْظِ ﴿صَغِيرِينَ﴾:

صغاراً فرعون
ومن معه، هو
حالتهم اللازم
لهم

الفعل المضارع بهيئة اسم الفاعل ﴿صَغِيرِينَ﴾ يفيد أن هذا هو حالهم، وأنه تم، وحدث في الحال، واستمر حصوله، وثبت وصفاً لهم مُستَقَرٌّ الدلالة. وبذا لم يشمل السحرة لكونهم آمنوا، وإناسبت مجيء ﴿وَأَنقَلَبُوا﴾ بصيغة المطاوعة؛ أي: قبول الأثر، والانصياع له، والتسليم به لفعل الصغار الدال على الإذلال والعجز المتضمن لمعنى الانصياع للأمر.

❁ الفروق المعجمية:

(انقلبوا)، (رجعوا)، (عادوا):

القلب تغيير
الحال وتبذله،
وقد جاء في
الآية بمعنى
الصيرورة،
ولذلك أُوثر عما
سواه

عُرِفَ الرجوع بأنه: الرجوع إلى ما كان منه البدء فرجع عودُه على بدئه، إذا رجع في الطريق الذي جاء⁽³⁾، أو الرجوع بعد التخلي

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/51.

(2) ابن عطية، للحزر الوجيز: 2/440، والسمين الحلبي، الدرر للصون: 5/418.

(3) ثعلب، الفصيح، ص: 312.

عن الأمر وتركه. أمّا العودُ فيعني القيامُ بالعملِ مرّةً أخرى، وأعادَ فلانُ الأمرَ، لا يُفيدُ إلاّ إعادته مرّةً واحدةً⁽¹⁾؛ فالعودُ: تنثيةُ الأمرِ عودًا بعدَ بدءٍ، بدأ ثمّ عادَ، والعودةُ مرّةً واحدةً. وتقولُ: عادَ فلانٌ علينا معروفته: إذا أحسنَ ثمّ زادَ⁽²⁾.

فالعودُ غيرُ الرجوعِ، فقولُك: رَجَعَ فلانٌ إلى بيته؛ يعني: أنّه سَلَكَ في رجوعِهِ إليه طريقَ ذهابِهِ، حتّى وصلَ إلى ما بدأ الذّهابَ منه، ولا يكونُ هذا المعنى هو المُرادُ، إذا قلنا: عادَ فلانٌ إلى بيته، بل المُرادُ أنّه كانَ مِن قَبْلُ في بيته، ثمّ صارَ فيه مرّةً ثانيةً⁽³⁾.

وكلاهما لا يؤدّيان معنى القلبِ: الَّذي تبينَ معناه في الشّرحِ اللّغويّ بأنّه تحويلُ الشّيءِ، وصرفُهُ عن وجهِهِ إلى وجهٍ آخر، كقلبِ الثّوبِ، وقلبِ الإنسانِ؛ أي: صرفُهُ عن طريقته، فمعنى اللفظةِ تغييرُ الحالِ وتبدُّله، أو أنّه جاءَ بمعنى (صار)؛ أي: صاروا صاغرينَ⁽⁴⁾. وهذا المعنى مُرادٌ في الآيةِ الكريمة: لكونِ الانقلابِ ترتّبَ عليه تغييرُ حالِهِمْ؛ فإنّما انصرافُ صغارٍ وذُلٌّ لا عودةَ فيه، وإنّما تحوُّلٌ إلى الإيمانِ كما هو حالُ السّحرةِ.

(1) العسكري، الفروق اللّغويّة، ص: 39، والكفويّ، الكلّيات، ص: 478.

(2) الخليل، العين: (عود).

(3) زيدان، الفروق اللّغويّة في القرآن، ص: 239 - 240.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/51.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع
القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي]. -
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 14، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-10-4

يشتمل على إرجاعات بليوجرافية.

مج. 14: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.

1- القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

التقييم الدولي: 978-9948-768-10-4

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»